ISSN 3135-4564 تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index مجلة علمية محكمة نصف سنوية

سيميائية المكان في رواية خوف لأسامة مسلم

د. عبد العزيز خليفة عبد السلام القماطي*
قسم اللغة العربية – كلية التربية - الزاوية ، ليبيا
Email: a.alqamati@zu.edu.ly
Orcid :0009-0001-2084-0627
University of Zawia
تاريخ الارسال 2026/5/1م تاريخ القبول 2026/6/16م

Semiotics of Place in Osama Muslim's Novel Fear

Dr.AbdulAziz Khalifa Abdul Salam
Email: a.alqamati@zu.edu.ly
Orcid :0009-0001-2084-0627
University of Zawia

Abstract :

The novel "Fear" by the writer Osama Al-Muslim reflected what society suffers from in terms of fraud, superstition, and magic. We find the protagonist of the novel has suffered a lot from charlatans, foremost among them the sheikh who treated him. The protagonist used to go to him with his mother to treat his stomach, and the sheikh would douse him with oils and spit on him to no avail. In the end, the police arrested him. Similarly, the sorcerer Ammar kept him in his house for three years reading in his library. This novel dealt with narrative semiotics that addressed place and highlighted closed places such as the house, hotel, library, mosque, and others, as well as open places like the market, garden, city, village, and others. It also dealt with the place and its relationship to the character, and the relationship of the place to description. It appeared in all the events that took place in the novel that fear dominates the atmosphere of the novel from beginning to end.

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

الملخص:

عكست رواية خوف للكاتب أسامة المسلم ما يعانيه المجتمع من الدجل والشعوذة والسحر، فنجد بطل الرواية عانى الكثير من المشعوذين وفي مقدمتهم الشيخ المعالج له حيث كان بطل الرواية يذهب إليه مع والدته لعلاج بطنه فكان الشيخ يغرقه بزيوته وبصاقه دون جدوى، وفي نهاية الأمر قبضت عليه الشرطة، وكذلك الساحر عمار حجزه في بيته ثلاث سنوات يقرأ في مكتبته، وهذه الرواية تناولت السيميائيات السردية التي تناولت المكان وأبرزت الأماكن المغلقة كالبيت والفندق والمكتبة والمسجد وغيرها، وكذلك الأماكن المفتوحة كالسوق والحديقة والمدينة والقرية وغيرها، وتناولت أيضًا المكان وعلاقته بالشخصية، وعلاقة المكان بالوصف، وظهر في كل الأحداث التي دارت في الرواية أن الخوف هو المسيطر على أجواء الرواية من بدايتها إلى نهايتها.

الكلمات المفتاحية : سيميائية المكان ، رواية خوف ، أسامة مسلم

المقدمة:

تعتبر السيميائية من المناهج النقد التي اكتسبت نجاحًا وقبولاً في القرن العشرين، وتعد السيميائية موضوعًا قديمًا حديثًا، فهي موجودة منذ القدم، ولكن اتسعت دائرتها وبرزت بوضوح حديثًا، إذ أنها اتسعت ميادينها، وتنوعت مجالاتها، فكانت حقلاً علميًا واسعًا.

وأحدثت السيميائية تطورًا واسعًا في دراسة الأشكال السردية التي تبحث عن سلطة المكان وحضوره ضمن تلازم الأشخاص الفاعلة في النص الروائي، وكل ذلك يدل على نضوج الرواية العربية التي استطاعت أن تظفر بالقارئ وتأخذه إلى عوالمها، وتنقله من واقع يعيش فيه إلى واقع الفضاء الروائي الذي قوامه السحر والدهشة، والمكان فيه أكثر اتساعًا، كما أن المكان في الرواية يكتسب أهمية كبرى؛ لأنه أحد عناصرها الفنية الفاعلة، ورواية خوف في تلك الدراسة تناولت السيميائيات السردية التي تبحث عن سلطة المكان، وأبرزت الأماكن المفتوحة والمغلقة، ودلالتها في الرواية، وتناولت أيضًا المكان وعلاقته بالشخصية، وكذلك علاقة المكان بالوصف.

والمنهج السيميائي نعرج على أهميته قبل أن نخرج من المقدمة فهو منهج غني وسرٌّ غناه يتحدد في أنه يعدّ النص حاملاً لأسرار كثيرة، والدال عليها يستقر القارئ ويدعوه

إلى البحث والتنقيب عنها، وفك رموزها انطلاقًا من فهم العلاقة الموجودة بين الدال والمدلول.

واعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لنبرز من خلاله تموضع المكان داخل الرواية، وقد استسقى البحث مادته من مصادر ومراجع عدة أهمها رواية خوف لأسامة المسلم وسنرى هذه المراجع في متن البحث.

وقد بذلت قصارى جهدي ليخرج هذا البحث في صورة لائقة، فإن كنت وفقت فمن الله تعالى وإن كانت لأخرى فمن نفسي ومن الشيطان والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

مفهوم السيميائية ونشأتها:

المفهوم اللغوي: إذا ما نظرنا إلى لفظة سيمياء نجد أنها وردت في القرآن الكريم في قول الله تعالى: (تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً)[1] وهذه الكلمة تدل ملامح الوجه والنظر.

وقد وردت أيضًا في المعاجم العربية فنجد ابن منظور يقول في معجم لسان العرب "السومة والسيمة والسيمياء، العلامة، وسومة الفرس جعل عليه السمة، وقوله عز وجل (حِجَارَةً مِّن طِينٍ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ) قال الزجاج روي عن الحسن أنها معلمة بياض وحمرة وقال غيره مسومة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة الدنيا، ويعلم بسيماها أنها مما عذب الله بها"[2].

وفي الاصطلاح:

ظهر وانتشر مصطلح السيمياء منذ القرن العشرين على يد عالم اللسانيات فردينا ندوي سوسير وعرفها بأنها "دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية"[3] وأما بييرفرو إذ يقول: هي العلم الذي يهتم بدراسة أنظمة العلامات للغات وأنظمة الإشارات والتعليمات..."[4] وهذا التحديد يجعل اللغة جزء من السيمياء..." ويبرز سعيد بنكراد ترجمته لمصطلح (السيمياء) هي ذلك العلم الذي يهتم بتفصل الدلالات وأشكال تداولها، أو هي العلم الذي يرصد تشكل الانساق الدلالية ونمط إنتاجها وطرق اشتقاقها"[5].

ونجد الباحثة العربية سيزا قاسم تقول عن السيميوطيفيا طموحها هو "تفاعل الحقول المعرفية المختلفة، والتفاعل لا يتم إلا بالوصول إلى المستوى المشترك، ويمكن من خلاله أن ندرك مقدرة هذه الحقول المعرفية، وهذا المستوى المشترك هو العامل السيميوطيفيا نشأة السيميائية".

1- نشأة السيميائية عند العرب:

إذا نظرنا إلى المنهج السيميولوجي عرف نتيجة احتكاك العرب بالغرب، وله جذور في الثقافة العربية، ولكنه انتشر واشتهر حديثًا، وهذا المصطلح السيميائي قد عرفه العرب قديمًا فنجد ابن سينا له مخطوطة عنوانها "كتاب دار النظم في أحوال علوم التعليم، وقد ورد فيها فصل تحت عنوان علم السيمياء، وكذلك ابن خلدون فقد خصص فصلاً في مقدمته لعلم أسرار الحروف ويقول عنه "المسمى بالسيمياء، ومن فروع السيمياء عند استخراجه الأجوبة من الأسئلة بالارتباطات بين الكلمات حرفية يوهمون أنها أصل في المعرفة"[6] وبذلك يتضح أن العرب عرفوا السيمياء قبل علماء الغرب يقرون طويلة.

ب- نشأة السيمياء عند الغرب:

بدأت المرحلة الأولى عند الرواقيين، وكانت منذ القدم ولهم حضور في دراسة العلامة بل أنهم "أول من قال بأن للعلامة دال ومدلول، والعلامة التي قال بها الرواقيون أن لها جانبين دال ومدلول ليست العلامة اللغوية فحسب بل وكما يوضح أيكو كل أنواع العلامات، وكل السيميائيات، أي العلامة المنتشرة في شتى مناحي الحياة"[7] أما في الحديث فقد ظهرت في بدايات القرن العشرين مع اللغوي السويسري فردناند دي سوسير.

تعريف المكان لغة واصطلاحًا:

أولاً: المكان لغة: وردت هذه الكلمة في المعاجم العربية، فنجد ابن منظور يقول "والمكان الموضع، والجمع أمكنة كقذال وأقذله وأماكن جمع الجمع قال ثعلب يبطل أن يكون مكان فعالاً؛ لأن الغرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك، واقعد مكانك، فقد دلّ هذا على أنه مصدر كان أو موضع قال: إنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية؛ لأن العرب تشبه الحرف بالحرف، كما قالوا منارة ومنائر فشبهوها بفعالة، وهي مفعلة من النور"[8].

وكذلك عرفه الفيروز آبادي بقوله: "بالمكان يمكُثُ مَكثًا ومُكثًا وَمَكثي وَمَكيثًا وَمكوثا، مَكث فلان يمكُثُ مكانة"[9].

والمكان في الاصطلاح:

تناول النقاد العرب كلمة المكان لما لها من أهمية كبرى في الرواية فمنهم من قال: "المكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث"[10].

وقال آخر: "المكان هو الكتان الاجتماعي الذي يحتوى على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ومنذ القدم وحتى الوقت الحاضر كان المكان هو القرطاس المرئي والقريب الذي يسجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه ومخاوفه وآماله

وأسراره، وكل ما يتصل به، وما وصل إليه من ماض ليورثه إلى المستقبل"[11] إنه لا يعد المكان عنصرًا زائدًا في الرواية، فهو يتخذ أشكالاً، ويتضمن معاني عديدة بل قد يكون في بعض الأحيان "هو الهدف من وجود العمل كله"[12] وإن النقد العربي المعاصر لا يزال يشكو من بعض المصطلحات كمصطلح المكان فمنهم من يطلق عليه الحيز والآخر يسميه الفضاء، ومنهم من يطلق عليه المكان؛ ولكن إذا نظرنا إلى قول غاستون باشلار إذ يقول: "المكان الأليف هو ذلك البيت الذي ولدنا فيه أي بيت الطفولة إنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة وتشكل فيه خيالنا، فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات الطفولة"[13] فمن خلال هذا الرأي السابق وغيره نرى أن المكان هو الحيز والوسط الذي يترعرع فيه الإنسان فعندئذ يكون المكان معبرًا عن الحاضر والماضي، ونجد رأيًا لحسن بحراوي يقول عن المكان إن الفضاء في الرواية ليس في العمق سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والديكور الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي يستلزمها الحدث"[14] وبذلك يصبح المكان في الرواية الحديثة مشاركًا أساسيًا في خلق المعنى وباعثا له، ولم يكن مجرد إطار للأحداث.

الأماكن المفتوحة والمغلقة في رواية خوف:

أولاً- الأماكن المفتوحة ودلالتها في الرواية:

إن المكان المفتوح هو "خير خارجي لا تخذه حدود ضيقة، يشكل فضاء رحبًا، وغالبًا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء المطلق"[15] فهو يشكل مساحة واسعة وفضاء رحبا كالحي والعاصمة والسوق والمدينة، وللأماكن المفتوحة أهمية عظيمة إذ "تمدنا دراسة هذه الفضاءات الانتقالية المبثوثة هنا وهناك في الخطاب الروائي بمادة غزيرة من الصور والمفاهيم ستساعدنا على تحديد السمة والسمات الأساسية التي تتصف بها تلك الفضاءات، وبالتالي الإمساك بما هو جوهري فيها أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها"[16] ومن الأماكن المفتوحة ما يلي:

1- المنطقة:

هي حيّ سكني تتواجد ضمن مدينة كبيرة أو بلدية وقد استخدم الروائي أساسية المسلم في رواية خوف المنطقة وهي كحي سكنى مفتوح يمارس فيه نشاطات مختلفة كالتنقل والحركة والالتقاء بالآخرين، ولذلك يروي لنا الراوي ذهابه إلى منطقة الشيخ مع والدته للعلاج فيقول عن هذه المنطقة: "خرجنا مع أبي بعد الحاح أمي، وتوجهنا لشخص كان يلقب بـ(الشيخ العماني) لبدء جلسات العلاج معه، كان أبي يوصلنا إلى منطقة بيوتها من طين لنقطع أنا وأمي بقية المسافة على الأقدام عبر بيوت قديمة

متهالكة، وقد كانت بيئة جديدة عليَّ في ذلك الوقت، كانت شوارعها ذات رائحة مميزة، لم أكن أعي في الزيارة الأولى وجهتنا، لكن مع التكرار كنت أتحمس للذهاب، لأن تلك المنازل الطينية كانت تعجبني لسبب ما"[17] ولكن بطل الرواية يسأل أمه عندما انقطعت الزيارات عن الشيخ لماذا لم تعد نذهب إلى الشيخ يا أمي فردت الأم برد لم أضحك عليه إلا بعد سنوات عندما كبرت واستوعبت كلامها فقد قالت بحسرة "قبضت عليه الشرطة"[18] فالبطل عندما أدرك ما يفعله الشيخ ما هو إلا دجل، ولذلك يقول: "لماذا فعلت أمي ذلك؟ لماذا ذهبت لذلك الدجال؟ الذي اغرقني بزيوته وبصاقه، لم أجد إلا جواباً واحدًا الخوف"[19] وفي كلام الكاتب أسقاط على هؤلاء المشايخ يرتدون عباءة الدين ويبتذون أموال الناس وأعراضهم، ولذلك يقول: "حاولت أن أوضح للناس بالنقاش المنطقي أن الثقة العمياء التي يهبونها لبعض المتنكرين وراء عباءة الدين تخالف غريزة الحذر والخوف التي هي من أساسيات البقاء عندهم، لكن تأثير اللحية والثوب القصير ورائحة دهن العود كان أقوى مني ومن منطقي" وكان يحاول أن تحقق تغيير المفاهيم السائدة تجاه هؤلاء المشايخ، ولكنه فوجئ بأن مجتمعه يعاني من سوء فهم لمعنى الفهم"[20] أي لديه مفاهيم راسخة في أذهانهم من الصعب التغيير.

2- الحديقة:

حديقة البيت مكان مفتوح على البيت حيث يخرج أهل البيت من غرفهم، ويجلسون في حديقة البيت للتمتع والراحة والاطمئنان، وكذلك يتجاذبون فيه أطراف الحديث، ويعد هذا المكان الأكثر راحة لأهل البيت. ونجد بطل الرواية يبين أنه أخذ الكتاب الثاني[21]، وخرجت لفناء المنزل، وجلست في الحديقة، وفتحت الكتاب، وقبل أن أقرأ حرفا منه نادتني أمي وقالت: ألن تذهب للجامعة اليوم؟

فقلت لها بصوت عال لا.

وهذه المرة الأولى التي أكلمها بهذه الطريقة، فأنا ليست حاد المزاج بطبعي، وأمي كانت الشخص الوحيد في حياتي الذي لا أستطيع أن أعارض لها كلاما مهما طلبت أن أرفع صوتي عليها، ولكن هذه المرة كان عقلي ليس في مكانه[22].

وفي هذا إشارة واضحة أن حياته تغيرت بسبب هذه الكتب اللعينة كما يقول حتى وصل الضرر لعقله فليس في مكانه، وكل هذا يرجع إلى الخوف الذي اعتراه، وتملك منه، ولذلك يشبه حاله في هذا الوقت بالمدمن الذي يبحث عن جرعة توقف ألمه الذي يقطع أوصاله[23].

3- المدينة:

هي فضاء الكيانات السردية المفتوحة، وتعد المدينة من أهم الأماكن المفتوحة التي يعيش فيها الإنسان ففيها الشوارع المفتوحة[24]، والأماكن الفسيحة والبيوت الواسعة النظيفة نوعا ما عن بيوت القرية وبطل الرواية يقول وعندما نزلت مطار إحدى الدول الخليجية "لم أنم كثيرًا وخرجت أتجول في تلك المدينة، والكتاب معنى، ولا فكرة لدى عن الخطوة التالية التي يجب أن اتخذها بعد مدة من التجوال خطرت ببالي فكرة، وهي التوجه لأي مكتبة لعلها تعرف دار النشر التي نشرت الكتاب أو أن يكون لديها فكرة عن المؤلف الذي قام بتأليفه وفعلاً بحثت عن أكبر مكتبة هناك وتوجهت إليها وقدمت الكتاب لأحد المسؤولين في المكتبة الذي نظر بدوره للكتاب وتصفحه قليلاً، ثم نظر إليَّ، وقال فمن أين لك بهذا الكتاب؟ فحكيت له معظم قصتي، وقال لن تجد لهذا الكتاب مؤلفًا أو ناشرًا، ولكن يمكنني أن أدلك على من يساعدك في مسعاك، فدلني على مكتبة بعيدة عن تلك المدينة في مدينة أخرى يمكن أن تجد فيها ضالتك، فذهبت إلى تلك المدينة الصغيرة، وفيها وجدت تلك المكتبة ووجدت في المكتبة كتبًا تشبه للكتب التي وجدتها في صندوق قريبي العجوز، وصاحب المكتبة أرشدني لمنزل شخص قال إنه يفيدني بهذا الخصوص، وذهبت إلى هذا الشخص الذي دلني عليه، وهذا الشخص هو عمار[25] فالمدينة من أبرز الأماكن المفتوحة وتجد فيها ما تريد من مكتبات كبرى ومطارات وهيئات كبرى ومؤسسات، فهي ظاهر حضارية واجتماعية والمدينة ظهر دورها في هذه الرواية حيث كانت مكانًا أكبر للقاءات البشر لكثرة الوافدين إليها ولذلك نجد أن سالمًا وجد أخاه عمارا في المدينة وبطل الرواية وجد المكتبات في المدينة، وعمار وجد الساحر في المدينة، والأسواق الكبيرة توجد أيضًا في المدينة.

السوق:

هو مكان مفتوح يذهب إليه الناس لشراء ما يحتاجون من مأكل وملبس، فهو مكان يلتقى فيه الناس، ويكثر فيه الضجيج والحركة، ويتبادل فيه الناس أطراف الحديث[26]، وبالنسبة للسوق في رواية خوف نجد أن سالمًا عند ذهب إلى العاصمة ليبحث عن أخيه عمار فلم يجده وقرّر العودة، ولكن شاء الله أن يرى سالم أخاه عمارا مصادفة في السوق، وهو يشترى بعض الحاجات، ففرح سالم جدّاً وتوجه إلى أخيه مسرعًا ليعانقه، لكن عمارًا تظاهر بأنه لا يعرفه خوفًا من أن يراه الساحر، لأن الساحر هدده بأنه إذا رأى سالمًا مرة أخرى فسيقتله، فتهرب عمار من أخيه[27] ولكن سالمًا أصرّ على مقابلة أخيه، فبقي ليله أخرى في العاصمة حتى يتحدث مع أخيه، وفي الليل سمع سالم طرقًا على باب غرفته التي استأجرها للمبيت تلك الليلة، ودار

بينه وبين شخص غريب حوار على الباب وبعد ذلك عاد سالم لغرفته، ولكن سالمًا جنَّ جنونه بعد رحيل زائرة، ونقل إلى المستشفى وبقى بها عدة أشهر، وتمَّ إبلاغ أهله ليزوره بانتظام حتى آخر يوم قبل وفاته، وهذا كلام حارس المقبرة"[28].

وهكذا اتضح أن السوق مكان للبيع والشراء حيث كان عمار يذهب لشراء احتياجاته اليومية، وكذلك مكان للقاء الناس كما حدث لسالم مع أخيه عمار إذ شاهده في السوق، ولكن عمارا تظاهر أنه لا يعرفه خوفًا عليه من الساحر.

الأماكن المغلقة:

الأماكن المغلقة لها مكان كبير في الرواية من خلال الذكريات والأمنيات والخوف وغير ذلك. والمكان المغلق هو مكان العيش والسكن الذي يؤوى الإنسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن لهذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية، ويبرز الصراع الدائم القائم بين المكان كعنصر فني وبين الإنسان الساكن فيه، ولا يتوقف هذا الصراع إلا إذا بدأ التآلف يتضح أو يتحقق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه"[29]، وهذه الأماكن المغلقة تمثل غالبًا الحيز الذي يحوى حدودًا مكانية تعزله عن غيره من العالم الخارجي، ويكون أضيق بكثير بالنسبة للمكان المفتوح، فقد تكون الأماكن الضيقة مرفوضة؛ لأنها صعبة الولوج، وقد تكون مطلوبة، لأنها تمثل الملجأ والحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيدًا عن صخب الحياة"[30].

وقد جعل الروائيون هذه الأمكنة إطارا لأحداث قصصهم ومتحرك شخصياتهم، ولا تخلو أي رواية من هذه الفضاءات المغلقة وأهمها:

البيت:

إذا أمعنا النظر إلى البيت نجد أنه "مكان مغلق للعيش والسكن يقضى فيه الإنسان فترات زمنية طويلة فهو مأوى اختياري، وضرورة اجتماعية، يمنح الألفة والأمان، فيه ينشد الإنسان الراحة والسكينة وفيه تتشكل الشخصية في مراحلها الأولى، ولا يلبث البيت أن يشغل حيزًا مهما في ذاكرته"[31].

أما حسن بحراوي فيرى أن "الفضاء البيتي (نسبة إلى البيوت) فقد أتاح لنا بدوره نماذج ملائمة لدراسة قيم الألفة ومظاهر الحياة الداخلية للأفراد الذين يقطنون تحت سقوفنا"[32] وفي رواية خوف لقد جسد الكاتب المكان حيث يحمل معاني كثيرة: كالأمان والشعور بالعطف والحنان والدفء الذي يصدر من الوالدين ويبين الراوي عندما زار بطل الرواية أحد أقاربه "وكان المجلس مكتظا بالرجال من جميع الأعمار وكعادتي كنت أناقش الموضوعات الجدلية بحرارة واصطدم مع أي رأى لا يعجبني وكنت أحب أن أسمع عبارات الثناء من حولى عندما أفحم أحد المتغطرسين الذين

يدعون العلم والمعرفة أمام أفراد المجلس فقط لكونهم يحظون بمكانة اجتماعية أو اقتصادية تجعلهم مخولين بالحديث في أي مجال أو موضوع"[33] وبدأنا ببيت ابن عمه؛ لأن هذا البيت تعقد فيه جلسات للحوار والمناقشة، وهذا الأمر يعجب بطل الرواية خوف، وكانت عبارات الثناء هي التتويج المحبب لقلبي في كل معركة نقاشية انتصر فيها"[34] ومن العبارات التي يضعها وسامًا على صدره، والتي تصدر من أبي وبعض أقاربي ورواد المجلس من مثل قولهم "أنت سابق سنك" أو "ما شاء الله عليك أفحمتهم" ولكن نجد في كلام الكاتب اسقاطًا على بعض رواد هذا المجلس إذ يقول: "لاشك أن هناك بعض العقول المتحجرة التي كان يعشش في تلك المجالس كالغربان المسنة التي ترفض وتحرم على الطيور الصغيرة الجلوس على غصن هزيل على تلك الشجرة، وتنعق في كل من يحاول الاقتراب منها، والتي مهما طرقت بسندان المنطق ومطرقة الدليل القاطع لن تنغلق أبدا وتعترف بجهلها، لكنها تكتفي بردود وعبارات استفزازية مضحكة مثل قولهم: "الحمد لله على نعمة الإسلام" أو "إحنا ما نعرف غير الكتاب والسنة"[35] والكاتب شبه أعداء العلم والمعرفة بالغربان المسنة التي تطرد كل الطيور الصغيرة التي جاءت لتستفيد، وهؤلاء الغربان المسنة أعداء العلم والمعرفة موجودون في مكان وزمان. وكان بطل الرواية له انتقاد آخر يوضحه قوله: لنعيد للمجلس الذي امتلأ بدخان البخور معلنًا معلنًا نهاية الجلسة ونظرة غضب من عمي عندما قلت إن اشعال البخور هو من أهم المكونات التي يستخدمها الهندوس في الكثير من مراسهم وطقوسهم، يجب أن أتعلم ألاّ أتكلم في الثوابت في المستقبل"[36] وعلى إثر ذلك طلب متى أحد أقربائي أن أبقى، وكان كبير السن، وقد ناهز السبعين من عمره، ثم أشار بيده كبير السن فذهبت له، وكنت أرغب في الحديث معه، فقال لي: هل ترغب في الحديث؟ قلت: نعم، فقال أبق حتى يخرج الناس من البيت، وخلا المكان من الناس، واستأذن ابن الرجل للصعود للطابق العلوي، وبقيت أنا والرجل الكهل، فقلت لقريبي الكهل: هات ما عندك، فقال سمعتك وأنت في المجلس تناقش وتقول تعلقكم بالخرافات هو الذي جعلكم تفكرون بهذه الطريقة، فقلت نعم خرافات[37]، وسألني وقال ما الخرافة في الموضوع؟ السحر أم القراءة أم ماذا؟ فسكت ثم قلت له كنت أقصد أمورًا أخرى فقال: له مثل ماذا؟ فسكت مرة أخرى، وقلت بلا تفكير عالم الجن والشياطين، وبعد حوار طويل عن الجن والشياطين، هل تريد فعلاً أن تدخل إلى هذا العالم، فقلت بل أتوق إلى ذلك، فنهض قريبي الكهل، وذهب إلى غرفته، ثم عاد وفي يده كتاب ووضعه في يدي، وقال تذكر أن هذا قرارك، وبعد أن قرأت في هذا الكتاب تعكر صفو نومي مما أراه في منامي، ثم أعطاني قريبي الكهل كتاباً آخر لتحرير القرين،

وبعد هذين الكتابين تحولت غرفتي من مكان للراحة والهدوء والسكون إلى مكان ازعجاج وخوف ورهبة، وفتحت عليَّ أبواب جهنهم كما يقولون[38]، وبذلك تغيرت حياته عندما دخل إلى هذا العالم.

المسجد:

هو مكان يذهب الناس إليه للعبادة حيث يؤدون فيه الصلوات الخمس كل يوم، فهم مرتبطون به ارتباطًا وثيقًا، ويؤثر فيهم تأثيرًا إيجابيًا.

وفي رواية خوف نجد أن المسجد بجانب العبادة يؤدي جانبًا اجتماعيًا في حلّ مشاكل المجتمع، ومن تلك المشاكل عندما طرد سالم وأخوه الساحر الذي كان يسكن في القرية، وبعد طرده بدأت فتيات القرية بالاختفاء بمعدل فتاة أو اثنتين في الأسبوع وعلى أثر ذلك ذهب أخو سالم إلى العاصمة، وعاد برجل غريب يلبس عباءة سوداء، ويغطي رأسه بخرقة حمراء ولحيته طويلة ويده معطاة بالخواتم والحلي، وجاء هذا الرجل ليخلص أهل القرية من خطف بناتهن، وطلب الساحر قطعة من لباس كل شخص، وعندما علم سالم بأن هذا الرجل ساحر طرده، فلما جاءوا المغرب وأحضروا ما طلب منهم الساحر، ولكنهم لم يجدوه[39] فقال سالم للناس المجتمعين عند بابه "لنصل المغرب ثم لنتحدث في الأمر في المسجد، وبعد الصلاة اعتلى سالم المنبر، وشرح لأهل القرية الموقف وكانت ردود الناس متفاوتة بين مؤيد ومعارض، وصرح رجل من بين الحشود الغاضبة، وقال لسالم أنت لا تهتم؛ لأن ابنتك ما زالت في أحضانك، فقال سالم والله لو استطعت لقدمتها فداء لبناتكن فقال: بعض الناس بصوت واحد آمين، خرج بعدها الناس من المسجد وبقى سالم وأخوه في المسجد، وهما يفكران في هذه المشكلة، ولم يخرجا حتى اقترب وقت صلاة العشاء، وقبل الأذان دخل عليهما أحد أهل القرية ويصرخ بفرح عادت ابنتي يا سالم لقد عادت"[40] ثم عادت جميع بنات القرية، وبذلك نرى أن المسجد كان له دور عظيم في حل مشكلات الناس، حيث نوقشت فيه قضية خطف البنات على المنبر، وهذا شيء عظيم حيث يهرع الناس في ملماتهم إلى المسجد؛ لأنه يقدم لهم الحل من خلال رواد المسجد الذين يقومون بحل مشاكل إخوانهم، ويبذلون قصارى جهدهم في ذلك الأمر[41].

المكتبة:

هي مكان لبيع الكتب أو مكان للإطلاع والقراءة حيث يعد الطلاب إلى المكتبات الكبرى للإطلاع عندما يكلفوا بأبحاث أو مشروعات؛ لأنهم يبحثون في أمهات الكتب، ولا توجد هذه الكتب إلا في المكتبات الكبرى، وفي رواية خوف نجد بطل الرواية عندما عاد من الولايات المتحدة الأمريكية كان معتمدًا على التلفاز وخاصة قناة أرامكو في تعويض عن الثقافة الأمريكية التي تربي عليها، ولكن التلفاز تعطل، وسيعود بعد

ثلاثة أيام، وكيف أقضى هذه الأيام "بدأت أبحث في أرجاء المنزل لعلي أجد شيئًا يسليني خلال تلك الأيام الثلاثة الموحشة فقادني البحث إلى الطابق العلوي من منزلنا، ومن هناك توجهت إلى غرفة لم أفكر بدخولها يومًا من الأيام مكتبة أبي، لا استطيع أن أصف شعوري ذلك اليوم عندما فتحت باب المكتبة لكنه كان أقرب لمن اكشف كنزًا مدفونًا في فناء البيت لقد كان الكنز مجموعة من الكتب والمجلات والأشرطة والوثائق التي جمعها أبي خلال سنوات دراسته في أمريكا، وكانت كلها مصفوفة في دولاب زجاجي ضخم ومرتبة بعناية شديدة، وكانت طاولة القراءة مثل التي نجدها في غرف الاجتماعات ليتربع فوقها مجسم للكرة الأرضية في مركزها كرسى من الجلد الطبيعي"[42] وتلك المكتبة تزود منها بزاد ثقافي جعله يتفوق على أقرانه في المجالس التي يدار فيها حوار علمي، ولذلك يسمع كلمات الثناء والإعجاب ممن يسمعونه، وهو يناقش الآخرين، فكان يقال له كثيرًا "أنت سابق سنك"[43] أو يقال له أفحمتهم وكانت تلك الكلمات هي التتويج المحبب لقلبي في كل معركة نقاشية انتصر فيها" وفي بيت عمار الساحر مكتبة مكث فيها بطل الرواية ثلاث سنوات ووصف تلك المكتبة فقال: كلها كتب ومجلدات ضخمة كانت أشبه بالمكتبة العامة، وكانت رفوفها مرتفعة، وبعضها يستلزم سلمًا قصيرًا للوصول إليه، فقال لي وأنا أحدق بتلك المكتبة الضخمة بفم مفتوح وأعين متسعة.

هل تحب القراءة؟

فقلت له وفمن ما زال مفتوحًا وعيناي تحدقان بتلك الرفوف العالية أحبّها لكن ليس للدرجة التي تحبها أنت: أبحث عنه بين الكتب (كتاب القرين) وستجده وتجد اسمه وعندها تستغرق كيف تتخلص منه"[44] وفي هذه المكتبة قرأت أغلب ما يخص العالم الآخر، وهو عالم الشياطين والجن ويصرح بذلك في قوله: "عشت بين تلك الكتب اللعينة التي تحدث عن كل شيء يخص العالم الآخر أصبحت ملما بالكثير من علومهم، لكن لم أعرف شيئًا عن شيطاني الذي يقف عند الباب"[45] وبذلك كانت المكتبة لها دور عظيم في تثقيف بطل الرواية، وأصبح ملمًا بهذا العالم وهو عالم الشياطين.

الفندق:

يعدُّ الفندق من المظاهر الحضارية لأي دولة كانت، وهو من الأماكن المغلقة التي تتميز بها المدن الكبرى، ويقيم بها المسافرون إقامة مؤقتة ولا يمكث طويلاً، ويرحل عنها إلى بلده الأصلي[46].

وفي رواية خوف نجد بطل الرواية يقول: "عندما توجهت لبلد خليجي نزلت المطار وعند خروجي من باب المطار أدركت أني لا أملك عنوانا أو دليلاً أو أي شيء يقودني لمصدر الكتاب، فلم أكن أملك سوى الكتاب الأول فقط فتوجهت لأقرب فندق

وبث فيه حتى الصباح"[47] أي أن إقامته في هذا الفندق كانت إقامة مؤقتة بات في هذا الفندق ليلا وفي الصباح تركه، وانصرف إلى المكان الذي يريد أن يصل إليه ليحصل على الكتاب المطلوب، وبذلك أرى أن للفندق دورًا مهمًا في سفر هذا الرجل، حيث استراح به طوال الليل ليستطيع بعدها التجوال في تلك المدينة ليقوم بأداء بعض المهام المطلوبة منه في تلك الأثناء، والفندق مكان استراحة هادئ للمسافر يستطيع فيه أن يسترجع ذكرياته، وهو مكان مناسب للتفكير، وترتيب الأفكار والأهداف، وهذا ما حدث من بطل الرواية حيث جمع أفكاره فيه وأهدافه ثم انطلق في الصباح إلى المدينة ليقضى حاجاته المطلوبة بها.

المكان وعلاقته بالشخصية:

المكان عنصر مهم في العمل الأدبي أو الروائي، وإذا نظرنا إلى المكان في الرواية نجد أن المكان بالرغم من أهميته بالنسبة للرواية إلا أنه "لا يتبلور ولا يتشكل إلا من خلال الشخصيات التي تشغله، وتصنع الأحداث وتكشف عن أثر المكان بها، وأثرها في المكان"[48] فالمكان لا يتشكل إلا من خلال الشخصيات التي تصنع الحدث، بينما نجد حسن البحراوي يعرف الشخصية الروائية بأنها "ليست سوى مجموعة من الكلمات لا أقل ولا أكثر أي شيء اتفاقي أو خدمة أدبية يستعملها الروائي عنده يخلق شخصية ويكسبها قدرة إيحائية كبيرة بهذا القدر أو ذاك"[49] فالشخصية تصور الواقع من خلال حركتها مع العناصر الأخرى ولاسيما المكان، لأن المكان يرتبط بالشخصية ارتباطًا وثيقًا حيث إنه "الكيان الاجتماعي الذي يحتوى على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه لذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءًا من أخلاق ووعي ساكنيه"[50] وعندما تمعن النظر في رواية خوف نجد عدة مقاطع وعبارات سردية تحمل بين دفتيها العلاقة الوثيقة بين المكان والشخصية، ومن ذلك ما أظهره الراوي من علاقة وثيقة بين سالم وأخيه والمسجد تربطهما به، ويمكثان فيه أوقاتًا كثيرة، إذ يقول الراوي: قال: حارس المقبرة: كان سالم رجلا نقيًا وصالحًا، وكان أهل القرية يحبونه، وعندما كان في شبابه كان هو وأخوه الأكبر مسؤولين عن مسجد القرية، ويتناوبان على الأذان والإقامة، وكان الناس يثقون بهما جدّاً[51] بيّن الراوي من خلال هذا النص أنهما مسؤولين عن الأذان والإقامة، وهذا يبين الارتباط الوثيق بينهما وبين المسجد خمس صلوات في اليوم والليلة، وكانا يتبادلان الأذان والإقامة، ويكونان بذلك قد قاما بمعظم ما يحتاجه المسجد، لأن المسجد قائم على الأذان والصلاة والإقامة، ولهذا العمل يثق الناس بهما كل الثقة، ولكن عمارًا، وهو أخو سالم تغير مسار حياته بعدما فرض الساحر الذي اطلق ابنة سالم من يد الشيطان (جسار) أن يكون عمار خادمًا له إلى أن يموت، فوافق عمار على ذلك وأظهر ذلك الراوي في قوله: "وصل

عمار لمنزل الرجل الذي طلب منه العمل لديه مدى حياته والذي اتضح فيما بعد أنه ساحر كبير ومشهور بين السحرة، وبدأ عمار فور وصوله في خدمته وتنظيم مواعيده مع زواره من كل البلدان أمضى عمار مع الساحر سنوات طويلة جعلته يفقد إيمانه تدريجيًا وينخرط في عالم السحر والشعوذة، وكان الساحر يلقن عمار اخلال تلك الفترة بعض أسرار المهنة حتى أصبح عمار أحد السحرة المشهورين في العاصمة"[52] يبين الراوي في هذا النص أن عمارًا عندما انخرط في العمل في بيت الساحر أخذ يفقد إيمانه الذي كان عليه في قرينه إذ يواظب على الصلوات سواء أكان أماما أم مؤذنا، لأن البيئة مؤثرة بدرجة كبيرة، كما أنه اكتسب معظم أسرار مهنة السحر حتى أصبح من السحرة المبرزين في العاصمة، وجلب على عمار كل هذا الضلال الرفقة السيئة المسيطرة بنفوذها على عمار والشيء بالشيء يذكر، وهذا ما حدث ليظل الرواية عندما رافق عمارا ثلاث سنوات إذ يقول: "الرجل الذي قضيت معه ثلاث من عمري رغما عني ودون اختياري كان اسمه عمارا، كما حكى لي فيما بعد منذ أول يوم قضيته معه كنت ثائرًا وساخطًا على حالي خاصة عندما طال البحث عن دجن في كتبه كنت حبيسًا للمكان، وكان يخرج من وقت لآخر لإحضار الطعام"[53]، وفي هذه الفترة قرأ كثيرًا حتى تمكن من علومهم، وهذا ما جعل عمارا يعرضن عليه أن يكون مساعدا له فرفض خوف ذلك الأمر وبمكثه هذه المدة الطويلة ابتعد كثيرًا عن دينه إذ يقول: "الفترة التي قضيتها مع عمار لم تكن بسيطة، وأثرت في شخصيتي وسلوكياتي كثيرًا وفي مرحلة متأخرة أبعدتني عن ديني وخلقت مني إنساناً مختلفًا"[54] فبمرافقته هذه السنوات ابتعد خوف عن الصلاة، وابتعد عن أمور أخرى متعلقة بدينه، وأصبح شخصًا مختلفًا تمامًا عن ذي قبل فالبيئة كما قلنا سابقًا مؤثرة لاسيما بيئة الساحر، لأن الساحر يضغط على الشخص بطرق السحرة حتى ينفذ ما يريد، وهذه الطرق أما بالتخويف أو التهديد وإما بالوهم، لأن حياتهم كلها وهم وزيف لأن السحر أساسًا قائم على قلب الحقائق بطرقهم المختلفة وبذلك يكون للأمكنة علاقة برسم الشخصيات الروائية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن المكان يدل على صاحبه فالمسجد يدل الساجد، والمكتبة تدل على القارئ، وبيت السحر يدل على الساحر من خلال ما يوجد به من مدونات، وكتب متعلقة بهذا المجال كما رأينا في بيت عمار من مكتبة كبيرة سجن بين حوائطها خوف قرابة ثلاث سنوات من عمره وعلى ما تقدم يمكن القول بأن المكان والشخصية تربطهما علاقة قوية، لا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر فهما يكملان بعضهما البعض.

علاقة المكان بالزمان:

إن المكان والزمان لهما دور كبير في تشكيل البيئة السردية في الرواية، ومن ثم وجودهما ضروري لمعالجة بعضهما البعض فعندما ننظر للمكان نجده خليفة للأحداث، والزمن هو سير الاحداث "والشخصيات التي تتأثر بمكان ما فإنها لا تتأثر به إلا من خلال فعل الزمن في ذلك المكان"[55].

وبذلك يكون "المكان والزمان هما مكونا الفضاء الذي تشكل فيه الوجود الإنساني، ولكل بيئة مكانية خصائصها الطبيعية والمناخية، ولكل رواية علاقة خاصة تربط بين الزمان والمكان"[56].

وعندما ننظر في رواية خوف نجد الراوي قد وصف الزمن في عدة مقاطع، فعندما كان بطل الرواية يذهب إلى لبيت الشيخ لعلاج بطنه التي يعاني منها ولم يجد لها علاج عند الأطباء إذ يقول: "لا أجلس امامه إلا خمس دقائق تحاول فيها أمي شرح حالتي بسرعة والقلق على وجهها وهو مغمض العينين واضع يده على رأسه ويتمتم ببعض الكلمات غير المسموعة بوضوح وأنا أنظر إليه بخليط من الخوف والاستغراب، وينتهي اللقاء في العادة بالبصق في وجهي"[57]، تبين من خلال هذه الكلمات المكان وهو بيت الشيخ الذي يعالج، والزمن فترة زمنية قصيرة جلسا أمامه خمس دقائق فقط.

كما نجد عندما بلغني وفاة قريبي المسن الذي أعطاني الكتابين، بصراحة لم أحزن عليه كثيرًا ذهبنا إلى المقبرة لدفنه، وكنت حاقدًا عليه كثيرًا لما فعله بي لدرجة أني لم أدع له بالمغفرة خلال صلاة الميت، لكني سامحته ودعوت له بالمغفرة عندما رأيت جثمانه ينزل إلى الأرض ملفوفًا بقطعة من القماش الأبيض عندما بدأنا نواريه الثرى اصطدم اكتفى بكتف رجل غريب الشكل نظر لي نظرة غريبة، وابتسم لي ابتسامة أغرب، بدأ الناس بالرحيل، وكان الوقت عصرا فتوجهت مع والدي للسيارة، وقبل أن أركب سمعت نداء خلفي يقول انتظر... انتظر فنظرت باتجاه الصوت فإذا به ذلك الغريب الذي صادقته عند القبر"[58] نجد الراوي حدد المكان وهو المقبرة التي تدفنون فيها قريبهم، والزمن حدد أيضًا وهو وقت العصر، وربط الناس بالزمن حيث تواجد الناس عصرا إلى المقبرة لدفن المتوفى.

وفي مقطع آخر يقول الراوي على لسان بطل الرواية "دخلت على أصدقائي قبل اكتمال الساعة العاشرة مساء بخمس دقائق، وعلى غير عادتي كنت هادئًا وقليل الكلام والمشاركة في الحديث، وكان بعض أصحابي يلعبون الورق، وخلال لعبهم التفت إليّ أحدهم وقال: في واحد سأل عنك قبل قليل فقلت له: من؟

سألت وأنا قلبي يخبرني بأنه ذلك الشخص الغريب الذي صادفته في المقبرة، وكان ظني في محله، فقد أخبرني أصدقائي بأن شخصيًا غريب الشكل والشباب طرق عليهم الباب وعندما فتحوا له سأل عني بالاسم فأخبروه أني في الطريق، وطلبوا منه الدخول لانتظاري، لكنه رفض دعوتهم ورحل وهو يقول: "أنا أصلا بشوفه الليلة"[59] وفي هذا النص حدد الراوي المكان وهو بيت أصدقائه، وحدد الزمان قبل اكتمال الساعة العاشرة مساء بخمس دقائق، وربط أيضًا الشخصيات بالزمن في هذا المقطع.

ونجد أيضًا بطل الرواية عندما أراد أن يصل إلى بيت الساحر عمار فيقول: "وصلت للمكان المنشود في الفجر، ولم أجد سوى منزل بسيط على سفح جبل مغطي بالخضرة، وكان المنزل بلا جيران، وكان أقرب للكوخ منه إلى المنزل، انتظرت في السيارة حتى أشرقت الشمس، ثم نزلت، وطرقت الباب ففتح لي شخص يناهز الستين من العمر ذو لحية حمراء يخالطها بعض الشيب، ويلبس على رأسه عمامة ملونة، ونظر إليَّ بتجهم ثم وجّه نظرة وكأنه يشاهد شيئًا خلفي، وقال: "ادخل انت فقط أما هو فليبق بالخارج، دخل الرجل بيته وترك الباب مفتوحًا، نظرت خلفي ولم أر أحداً، فدخلت لمنزله، وأنا مرتبك؛ لأن منزله كان غريبًا، كان أغلب أثاث المنزل من الخشب، وكان السقف عاليًا بعض الشيء، ورائحة المكان غريبة كانت تشبه التفاح المتعفن جميلة ومقينة في الوقت نفسه"[60].

وبذلك حدد الراوي المكان، وهو بيت الساحر والزمان الفجر، وكذلك ربط الشخصيات بالزمان ونلخص مما تقدم إلى أن المكان والزمان مرتبطين ببعضهما ارتباطًا وثيقًا، لا يمكن فصلهما، ولا يمكن التفريق بينهما في أي حالة من الحالات، وقد ظهر لنا ذلك من خلال النصوص السابقة.

المكان وعلاقته بالوصف:

المكان يحظى بأهميته كبرى في الرواية، يعد أحد الركائز الأساسية لها[61] وله علاقة وطيدة بالوصف "حيث هو دعامة أساسية من الدعامات التي تقام بواسطتها المشاهد المكانية في الرواية لتعرض أمام القارئ، وهو أداة فاعلة في تعريف المكان واستقصاء جوهره، وتجسيد عمقه الحضاري"[62] فهو يرتبط بكل المكونات الروائية ولاسيما المكان.

والوصف له وظائف مختلفة تحدد في كل رواية، ولكن هناك وظائف عامة يمكن إيجازها في الآتي:

- الوظيفة الواقعية وهي تقديم الشخصيات والمدار المكاني والزماني كمعطيات حقيقية.

- الوظيفة المعرفية، وهي تقديم معلومات جغرافية أو تاريخية أو علمية أو غيرها.
- الوظيفة السردية: وهي تزويد ذاكرة القارئ بالمعرفة اللازمة حول الأماكن والشخصيات، وتقديم الإشارات التي ترسم الجو.
- الوظيفة الجمالية: تعبر عن موقع الكاتب داخل نظام الجمالية الأدبية.
- الوظيفة الإيقاعية: تستخدم لخلق الإيقاع في القصة(63).

وبذلك يتضح أن للوصف وظائف تساعد على فهم العمل الروائي، واكتشاف القارئ من خلال الوصف عدة معلومات ومعطيات، ويكتشف الشخصيات والأماكن وحتى الأحداث.

1- وصف الأماكن:

قام الراوي بوصف مكتبة أبيه إذ يقول: "لا أستطيع أن شعوري ذلك اليوم عندما فتحت باب المكتبة، لكنه كان أقرب لمن اكتشف كنزًا مدفونًا في فناء منزله لقد كان الكنز مجموعة من الكتب والمجلات والأشرطة والوثائق التي جمعها أبي خلال سنوات دراسته في أمريكا، وكانت مصفوفة في دولات زجاجي ضخم، ومرتبة بعناية شديدة، وكانت طاولة القراءة مثل التي تجدها في غرف الاجتمات يرتبع فوقها مجسم للكرة الأرضية، وفي مركزها كرسي متحرك من الجلد الطبيعي"(64)، وصفها وصفا دقيقًا، فهي تتكون من مجموعة من الكتب والمجلات والأشرطة والوثائق، وكلها مصفوفة بدقة بالغة في دولاب زجاجي ضخم، وكانت الطاولة المخصصة للقراءة مثل التي تراها في غرف الاجتماعات، ويرتبع فوقها مجسم للكرة الأرضية، وفي وسطها كرسي متحرك من الجلد الطبيعي وشعر عندما جلس فيها "أن العالم بين يدي"(65) لما تحويه من كتب قيمة تبني الإنسان وتعلي شأنه ومكانته.

وكذلك نجد الراوي يصف بيت عمار إذ يقول: "لم أجد سوى منزل بسيط على سفح جبل مغطى بالخضرة، وكان المنزل بلا جيران، وكان أقرب للكوخ منه إلى المنزل"(66) نجد أن وصف البيت بسيط في بنائه على سفح جبل تعلوه الخضرة من كل مكان، وكانت هيئة البيت أقرب إلى الكوخ من البيت، ولم يكن حوله جيران.

وعندما قرأ الكتاب الذي أعطاه له قريبه الكهل، فوجد أشياء مخيفة، فخرج من غرفته، وعندما عدت إليها "فوجدت الغرفة مقلوبة رأسًا على عقب، وفي فوضى عارمة وعندما سألت أهلي عن سبب تلك الفوضى قالوا: لم يدخلها أحد منذ رحيلك بالأمس"(67) كانت الغرفة مرتبة على أكمل وجه قبل خروجه منها، ولكن عندما عاد

إليها وجدها مقلوبة، ولم يجد شيئًا في مكانه، فعلم أن ذلك من الكتاب الذي قرأه إذ وجد في إحدى صفحات الكتاب "أن من يقرأ هذا الكتاب سيرتبط، ولم يذكر بماذا؟ لكنه ذلك أن الرابط لن يفك إلا عندما يقرأ شخص آخر الكتاب... فأدركت أن الشيء الذي ارتبط بي هو الذي جعل ذلك العجوز لا ينام طيلة تلك السنين"[68].

2- وصف الشخصيات:

ترى وصف الشخصية يبين ملامح الإنسان ويبدأ غالبًا بالوجه، ثم الجسم، ويذكر ما فيه من محاسن أو مساوئ، ولذا نجد بطل الرواية يصف رجلا قابله في المقبرة "أتذكر بوضوح ابتسامته الصفراء وعينيه الواسعتين"[69] ثم يقول: "وظللت أنظر إليه، وأحدق في عينيه اللتين امتلأتا بالعروق الحمراء المتشعبة في بياض عينه المصفر، ولم استطع التوقف عن التمعن في شكله الغريب، لقد كان أسمر البشرة بدرجة حالكة لكن ملامحه لم تكن كبقية من يملكون الدرجة من السمار، فقد كان أنفه مسلولا كالسيف، وشفتاه صغيرتين، ولم يكن يملك شاربا أو لحية، وكانت رائحة عطره خانقة"[70] في بداية وصفه وصف ابتسامته بالصفراء، وهذا يدل على عدم ارتياحه إليه، وكانت عيناه واسعتين، وتمتلئان بالعروق الحمراء التي تمتد في بياض العين المصفر، وكان أسود البشرة بدرجة شديدة من السمرة ولكن أنفه تختلف عن بقية الذين يحملون بشرة سوداء، وكانت انفه كالسيف المسلول، وشفتاه صغيرتين، ولم يكن لديه شارب أو لحية، وكانت رائحة عطره تخنق الأنفاس.

ووصف الراوي بطل الرواية عندما كان في أمريكا "نشأت في بيئة غريبة، وتعلمت اللغة الإنجليزية قبل العربية، وأصبحت لغتي الأولى، وعشت مثل أي طفل غربي يمارس حياته اليومية تحت ظل أكبر دولة رأسمالية في العالم، وبدأت بمرحلة الحضانة مرورًا برياض الأطفال، وكنت أتناول الوجبات السريعة من المطاعم الأمريكية الشهيرة، وحظيت بزيارة لعالم ديزني الساحر، وأنا ما زلت طفلاً في الرابعة من عمري"[71] وكان صغيرًا عندما كان في أمريكا في مرحلة الطفولة في الرابعة من عمره، وتعلم اللغة الإنجليزية قبل العربية، وتناول الوجبات السريعة من أكبر المطاعم الأمريكية، ووصف الراوي أيضًا عمارًا إذ يقول: "وطرقت الباب ففتح لي شخص يناهز الستين من العمر، ذو لحية حمراء يخالطها بعض الشيب"[72]، فوصف الراوي الشكل الخارجي أنه ذو لحية حمراء يوجد بها بعض الشيب.

ووصف أيضًا صاحب مكتبة يوجد بها كتب مثل الكتب التي وجدها في صندوق قريبة العجوز فيقول الراوي: "وبعد دخولي إليها وجدت على رفوفها كتبا مشابهة للكتب التي وجدتها في صندوق قريبي العجوز، لكن صاحب المكتبة كان

عجوزًا ضيق الخلق، ورفض الحديث معي بخصوص الكتاب الذي كان معي، واكتفى بإرشادي لمنزل شخص قال إنه قد يفيدني"[73] كان صاحب المكتبة رجلا عجوزاً، خلقه ضيق لدرجة أنه رفض الحديث معي بخصوص الكتاب الذي كان معي، ولكنه أرشدني إلى رجل قال إنه يفيدك في مثل هذا الكتاب الذي تحمله بين يديك.

وصف الملابس:

وفي رواية خوف وصف الراوي عمامة عمار إذ يقول: "ويلبس على رأسه عمامة ملونة يوجد بها أكثر من لون، وهذا يتماشى مع زي السحرة ولكن عماراً عند "انتهاء رمضان كان عيدًا حقيقيًا لـ(عمار) فقد خرج من الباب صباح العيد، وهو مسرور جدّاً، وكأنه قد خرج للتو من السجن كنت أراقبه من النافذة، أحسده على تلك الحرية عاد عمار للمنزل وغير ملابسه ليخرج فقلت: له

إلى أين؟

فقال وهو يلبس عباءة بيضاء جديدة:

هذه أول مرة تسألني مثل هذا السؤال، هل أصبحت ولي أمري الآن؟"[74].

فهو هنا يرتدي عباءة بيضاء بمناسبة انتهاء شهر رمضان الذي كان يسبب له قلقا شديدًا وترى الراوي يصف أيضًا الرجل الساحر الذي جاء به أخو سالم من العاصمة "عاد أخو سالم بعد أسبوع ومعه رجل غريب يلبس عباءة سوداء، ويغطى رأسه بخرقة حمراء، ولحيته طويلة، ويده مغطاة بالخواتم والحلى"[75] نجد أن هذا الرجل الذي جاء به أخو سالم من العاصمة يرتدي عباءة سوداء، ويغطى رأسه بقطعة حمراء من القماش، ولحيته طويلة ويده مليئة بالخواتم والحلي.

الخاتمة:

قمت بدراسة سيميائية المكان في رواية خوف لأسامة المسلم، وقد خرجت من هذه الدراسة بجملة من النتائج وهي:

1- إن السيميائية من المناهج النقدية التي استندت إلى عدة علوم معرفية، فهي علم له جذور في ثقافتنا العربية، وارتكز على مقوماته، ونهض حديثا نهضة شهد بها القاصي والداني وكان عونا لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني، ويهتم أيضا بدراسة أنواع مختلفة من الدلالات والإشارات والرموز.

2- إن المكان له أهمية كبيرة في الرواية، فهو الإطار الذي تقع فيه الأحداث، وهو الذي يحتوى على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه.

3- الأماكن المفتوحة في رواية خوف هي: الحي والحديقة والمدينة والسوق، والمنطقة وغيرها، فكل مكان من هذه الأمكنة يحوى بين دفتيه الكثير من

الدلالات في نفسية الروائي، وكذلك الأمكنة المغلقة وهي: البيت والمسجد والمكتبة والفندق، وهي أماكن لإقامة الأشخاص واستراحتهم ويتمثل في البيت والفندق، أما المسجد فهو مكان لأداء العبادة، وبالإضافة إلى ذلك فهو مكان للراحة النفسية والروحية، لأنه بيت الله تعالى، وأما المكتبة فهي للقراءة والاطلاع وشراء الكتب.

4- المكان له علاقة وطيدة بالوصف، فهو أداة فاعلة في تعريف المكان واستقصاء جوهره، وتجسيد عمقه، والوصف له وظائف مختلفة منها: الوظيفة المعرفية، والوظيفة الجمالية والوظيفة الايقاعية.

5- إن الزمان والمكان لهما دور كبير في تشكيل البيئة السردية في الرواية، ومن ثم وجودهما ضروري لمعالجة بعضهما البعض فعندما ننظر للمكان نجده خليفة للأحداث، والزمان هو سير الأحداث، وهما مكونا الفضاء الذي يشكل فيه الوجود الإنساني.

6- كما أن المكان يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالشخصية حيث إن المكان لا يتشكل إلا من خلال الشخصيات التي تصنع الحدث، وتظهر أثر المكان بها، وأظهرت هذه الرواية العلاقة الوثيقة بين المكان والشخصية، وهذا ما أظهره الراوي من علاقة وثيقة بين سالم وأخيه بالمسجد حيث كانت تربطهم بالمسجد علاقة قوية، فكانوا يمكثون فيه أوقاتا كثيرة.

7- المكان له علاقة قوية بالوصف حيث إن الوصف الدعامة الأساسية التي تقام بواسطتها المشاهد المكانية في الرواية لتعرض أمام القارئ وهو أداة فاعلة في تعريف المكان واستقصاء جوهره وتجسيد عمقه الحضاري.

بيان تضارب المصالـــح:

8-يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة

الهوامش :

(1) سورة البقرة الآية 272.
(2) لسان العرب لابن منظور، بيروت – لبنان، دار صادر، المجلد الثاني عشر، ص312.
(3) السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، ط1، اللاذقية، سوريا، دار الحوار، 2012م، ص9.
(4) الاتجاه السيمولوجي ونقد الشعر، عصام خلف كامل، (د.ط)، (د.ت)، السودان، دار الفرحة للنشر والتوزيع، ص18-19.
(5) العلامة تحليل المفهوم وتاريخه أمبرتويكو، ترجمة سعيد بنكرار، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، 2010م، ص12.
(6) ينظر مصطلح السيميائية في الثقافة العربية نصيرة شافع بلعيد، مجلة بحوث سيميائية، جامعة تلمسان، المجلد 18، العدد 14، (جوان 2019)، ص106.
(7) مصطلح السيميائية في الثقافة العربية الإسلامية، نصيرة شافع بلعيد، مجلة بحوث سيميائية، جامعة تلمسان، المجلد 8، العدد 14-2019، ص106.
(8) لسان العرب، لابن منظور، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط2، ج13، ص63.
(9) القاموس المحيط الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م، ص859.
(10) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، القاهرة، مكتبة الأسرة يونيو 1978م، ص102.
(11) الرواية والمكان ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، (د.ط)، بغداد، 1986م، ص16.
(12) بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن - الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990م، ص33.
(13) جماليات المكان غاستون باشلار، ط2، بيروت، لبنان، مؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، 1984م، ص6.
(14) بنية الشكل الروائي حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط16، بيروت، 1990م، ص31-32.
(15) المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية دراسة بنيوية لنفوس ثائرة أوريدة عبود، دار الأمل للنشر، (د.ط)، (د.ت)، ص51.
(16) بنية الشكل الروائي حسن بحراوي، مرجع سابق، ص79.
(17) رواية خوف لأسامة المسلم مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، (د.ط)، 1436هـ، ص19.
(18) المصدر السابق، ص20.
(19) المصدر نفسه، ص20.
(20) رواية خوف لأسامة المسلم، مصدر سابق، ص21.
(21) المصدر السابق، ص21.
(22) رواية خوف، مصدر سابق، ص44.
(23) ينظر: المصدر السابق، ص45.
(24) ينظر: المكان في روايات تحسين كرمياني قصي جاسم أحمد الجبوري، ماجستير، 2015-2016م، جامعة آل البيت، ص92.

(25) ينظر رواية خوف، مصدر سابق، ص58.
(26) ينظر سيميائية المكان في رواية حذاء فادي اليوسف الدموكي، بثينة رحموني وسوسن مسعود، رسالة ماجستير، الجزائر، 2023م، ص19.
(27) ينظر رواية خوف، مصدر سابق، ص155، 156.
(28) ينظر المصدر السابق، ص156، 157.
(29) ينظر جماليات المكان ثلاثية حنامينة، مهدي عبيدي، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011م، ص44.
(30) ينظر المكان والقصة القصيرة الجزائرية الثورية دراسة بنيوية لنفوس ثائرة أوريدة عبود، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت)، ص59.
(31) المكان في روايات تحسين كرمياني، قصى جاسم أحمد الجبوري، مرجع سابق، ص95، 96.
(32) بنية الشكل الروائي حسن بحراوي، مرجع سابق، ص11.
(33) رواية خوف، مصدر سابق، ص25.
(34) ينظر رواية خوف، مصدر سابق، ص25.
(35) المصدر نفسه، ص25.
(36) رواية خوف، مصدر سابق، ص27.
(37) المصدر السابق، ص27، 28.
(38) ينظر رواية خوف، مصدر سابق، ص33، 42.
(39) ينظر المصدر السابق، ص136.
(40) ينظر رواية خوف، مصدر سابق، ص140.
(41) المسجد علامة بارزة في كل أنحاء الأرض لأنه بيت الله عز وجل فيه يشعر الناس بالأمن والأمان والسكينة.
(42) ينظر رواية خوف، مصدر سابق، ص16.
(43) ينظر المصدر السابق، ص25.
(44) رواية خوف، مصدر سابق، ص62.
(45) المصدر السابق، ص63.
(46) سيميائية المكان في الرواية العربية المعاصرة رواية عمالقة الشمال لنجيب الكيلاني انموذجًا أرفيس محمد ومصطفاوى توفيق، ص35.
(47) رواية خوف، مصدر سابق، ص57.
(48) ثلاثية حنامينه مهدي عبيدي، مرجع سابق، ص188.
(49) بنية الشكل الروائي حسن بحراوي، مرجع سابق، ص213.
(50) الرواية والمكان ياسين النصير، بغداد العراق، دار الشؤون العامة، 1986م، ص16.
(51) رواية خوف، مصدر سابق، ص134.
(52) المصدر السابق، ص149.
(53) رواية خوف، مصدر سابق، ص83.
(54) مصدر سابق، ص83.
(55) إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة أحمد النعيمي، ط1، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004م، ص78.
(56) إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص82.

(57) رواية خوف، مصدر سابق، ص19.
(58) رواية خوف، مصدر سابق، ص46.
(59) رواية خوف، مصدر سابق، ص52.
(60) رواية خوف، مصدر سابق، ص59، 60.
(61) ينظر ثلاثية حناميه مهدي عبيدي، مرجع سابق، ص35.
(62) صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج جودي هنية، رسالة دكتوراه في آداب اللغة العربية، 2012-2013م، ص206.
(63) معجم مصطلحات نقد الرواية لطيف زيتوني، ط1، بيروت، لبنان، دار النهار للنشر، 2002م، ص172.
(64) رواية خوف، مصدر سابق، ص16.
(65) رواية خوف، مصدر سابق، ص16.
(66) المصدر السابق، ص59.
(67) المصدر نفسه، ص40، 41.
(68) رواية خوف، مصدر سابق، ص41.
(69) المصدر السابق، ص47.
(70) المصدر نفسه، ص47.
(71) رواية خوف، مصدر سابق، ص11، 12.
(72) المصدر السابق، ص .
(73) رواية خوف، مصدر سابق، ص58، 59.
(74) المصدر السابق، ص102.
(75) رواية خوف، مصدر سابق، ص136.